بســــــم الله الرحمن الرحيم

فطنة الأكياس مع عقدة الأكياس

قال الراوي: أخطأ صديقي الفطن حينما قرأها: المؤمن كيس قُطن! فقلت دون أن أصيح: يا صديقي الفصيح، لفظك غير صحيح، مع إن معناه مليح، وما هو بالقبيح، فالمؤمن كيسُ قُطن ببياض قلبه وصفائه، وهو كيّسٌ فطن بنور بصيرته وذكائه. فلا تمر به حروف الزمان إلا ويتأملها تأمّل النبهان، فيكتشف من خفايا لطائف المنّان. ولكن ما أكثر آيات الرحمن، وما أقل المتفكّرين! ألم يقل رب العالمين يحثّ عباده المؤمنين للتفكّر في مصارع الغابرين: إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين؟!.

ولأجل ذلك قلتُ لصديقي النجيب الأريب: أتذكر أيّها الأخ الحبيب قبل مجيئنا إلى هذا السجن الكئيب، كنّا في سجن قبله عجيب. إذ لم يكن لنا -آنذاك- كيس للغسيل ولا أواني وإنما يعطوننا الكيس لنضع فيه غسيلنا الآني، ونسلّمه لهم فوراً بلا تواني، ثم يرجعونه مغسولاً في اليوم الثاني. فنفتح عقدة الكيس السجّان، ونأخذ منه لباسنا مهما كان، فربما وجدناه تنظّف من الأدران، وربما عاد إلينا أوسخ مما كان.

فدعني يا صديقي بلا معرّة، أهديك من يواقيت الحكمة دُرّة، فإنني ذات مرّة، من أيامنا المرّة، استلمتُ ملابسي المغسولة بالمسرّة. فإذا بهم على حين غرّة، يعطونني كيساً آخر كأنه صرّة! قلت لهم: شكراً لكم، فقد استلمتُ ملابسي قبل قليل، فانظروا هذا الكيس لأيّ نزيل؟!. قالوا: قد علمنا ذلك يا رشيد، وإنما جئناك لتفتح لنا هذا الكيس العنيد، فلكأنّ عقدته من حديد. قلتُ: كلكم ذو بأس شديد، فلماذا تلوذون بشيخ قعيد؟! قالوا: أنت ذو أفكار مليحة، فلربما تفتحه بطريقة صحيحة، وتسترنا من الفضيحة.

قال الراوي: فلما رأيتهم أنهم يمدحوني عندما احتاجوني، تذكّرت قصة من الزمان السحيق، إذ بعدما خرج الكريم بن الكريم بن الكريم بالتوفيق، من غيابت الجبّ العميق، باعوه كما يباع الرقيق. ثم ألقوه مظلوماً في غيابت السجن الوثيق، مع خبّاز وساقٍ للخمر العتيق، ولم يرعوا مقامه ولا نسبه العريق. لكنهم حينما احتاجوا علمه، وتأويله الدقيق، أثنوا عليه قائلين: يوسف أيّها الصدّيق!.

قال الراوي: فنظرتُ إلى الكيس بكيس، فإذا عقدتُه مفتولة محكمة كأنها قرون تيس، فوقعتُ في حيص بيص. ثم قلّبتُه ذات اليمين وذات الشمال فلربما استبان لي هذا الحال. حاولتُ حلّ عقدته بقلمي وبناني ثم بلساني وحتى بأسناني، إلى أن أيقنتُ أنه أعياني. وكنتُ أظنّ أنني سأفتحه بانتصار وافتخار، وأنجح في هذا التحدّي والإختبار. فاهتديتُ إلى مجرّبٍ مأمون بكلامٍ موزون، فسألتهم: مَن عقد هذا الكيس المجنون؟! قالوا: عقده جيرانك "...جون".

قلتُ : هذا شابٌّ من الفتوّات ، يقومُ كلّ يوم بأنواع التمرينات ، وجسمه كلّه عضلات . فكيف أقدرُ يا رفاق ، أن أحلّ ما عقده بوثاق ، وأطبق عليه الخناق ؟! بل اعطوه كيسه المعقود فيفتحه لكم بلا مجهود ، فلا يحلُّ ما عُقِد إلاّ الذي له عقد !. أعجبتهم فكرتي فأخذوا بمقولتي وانتهت مهمّتي . ثمّ عادوا إليَّ بعد قليل : ألم نقلْ إنّ في أفكارك التسهيل ، وأنّ لديك الحلّ الأصيل ؟!. فقد أمسك جون بكيس الغسيل فكان بين يديه كالذليل ، فحلّ عقدته بلا عنتٍ ولا تطويل .

قال الراوي : فقلتُ لصديقي الأمين ، بعد ما قصصتُ عليه الحدث المبين ، فخذ من هذا الدرس الثمين : إذ أنني بعد أن ولّوا مدبرين ، تفكّرتُ فيما قلتهُ لهم قبل حين « أن لا يحلّ ما عُقِد إلاّ الذي له عقده » . فقلتُ في نفسي في الصميم ، بما أنا فيه من المصاب الأليم في هذا السجن السقيم ، لم أعقد أمره بفعل منّي أثيم ، وإنما عقده الحليم العظيم بقضائه القديم . فما دخلتُ السجن برجلي - كما يقولون - ولا اقترفتُ جرمًا مما يوجب الذلّ المهين ، بل هو مما قدّره القويّ المتين ، بعلمه المكين . وذلك بحكمة منه بالغة ، ونعمة علينا سابغة . فإن بدت مصيبتي فاجعة ، وسياطها لاذعة ، وآلامها موجعة ، فرحمة الله بي واسعة . وما عقده الواحد الديّان ، لا يقوى على حلّه إنسان ، إلاّ إذا أعانه الرحمن .

قال صديقي المبجّل : أتدعوني إذًا إلى القعود والكسل ، إتّكالاً على ما قد سُطِّرَ في الأزل ، وانتظارًا حتى يحين الأجل ؟ أم تريدني أن أقطع الأمل وأترك العمل ؟!. قلتُ : طبعًا لا ، يا رجل !. ولكن اصبر وتمهّل ، وتدبّر وتأمّل ، ثمّ اعقلها وتوكّل .

واصبر لها فلعلّها ولعلّما ولعلّ من عقد الأمور يحلّها

والحمد لله ربّ العالمين